قصائد

في القصائد المُترجمة هنا، نجدُ تركيزاً دقيقاً على الحالة الوجوديّة والروحيّة للكاتب الارجنتيني؛ حيثُ الدرجة العالية من الشعور والحسّ المرهف بماهيّة الأشياء في دواخله ومن حوله. هنا يبدو الشعرُ كبصيرة نافذة، يتحسّسُ من خلالها الطبيعة ومكنوناتها

تقديم وترجمة: عاطف الشاعر

خورخي لويس بورخيس شمسُ غروب وحيدة وآفلة

أنا كلّ هذه الأشياء

الشاعرُ الذي بين أيدينا له علامات واضحة ومؤثّرة في أدب أميركا اللاتينية والعالم، وقد ذاع صيته عالميًا كقاص وشاعر ومترجم، وأحسبه، كما حسب نفسه، شاعراً بالدرجة الأولى، فهو لا يكادُ يقول شيئاً إلا وبه مسٌ من الشعر، حتى ولو كان غارقاً في خضم السرد والنثر. خورخي لويس بورخيس هو ظاهرة أدبيّة، وُلدَ في عاصمة الأرجنتين بوينس ايريس عام 1899، ودرس في أوروبا، ورحل في مدينة جنيف بسويسرا عام 1986، وقد جعلت علاقته بالقراءة والكتب ووظيفته مديراً للمكتبة الوطنية في بلاده، الأرجنتين، جعلت جميعُها فكرة المكتبة عنده تسمو فوقَ كلّ شيء. ومما أثر عنه جملته الشهيرة: «تخيّلتُ دائماً أن المكتبة ما هي إلا ركنٌ من أركان الجنة».

عُرف عن بورخيس أنه فقد بالتدريج قدرته على الإبصار، وإنْ كان حتى الخامسة والعشرين ظلّ قادراً على رؤية بعض الأشياء والألوان، وخصوصا الأزق والأخضر. سيرة بورخيس الذاتية كنايغة عاش في حواضر مختلفة متنقلاً بين الأرجنتين بلده الأصلي وموطنه الذي طالما كتب عنه وبين أوروبا بالتحديد؛ حاضرة بصورة لافته في شعرة وكتاباته الموسوعيّة. ويعجبُ المرءُ بقدرته الخارقة على إثراء شعرة بمراجع أدبيّة من ثقافات شتى، أبرزها الأوروبية وخصوصاً اليونانية القديمة واللاتينية والإنكليزية، وكذلك الثقافات الشرقيّة وخصوصاً العربيّة والفارسية والهندية. كما أنّ شعره غني بالأساطير والإيحاءات المعبّرة من الكتب المقدّسة. وقد شغلت أسئلة وجوديّة تتعلّق بمعنى الوقت، والحياة الميتافيزيقية والاحتكاك بالطبيعة وكذلك حالته النفسية كرجل كفيف، ومعنى الشعر أبرز المحاور التي يدورُ حولها شعره.

في القصائد المترجمة هنا، وهي مستقاة من كتاب «الوردة اللانهائية»، نجدُ تركيزاً دقيقاً على الحالة الوجوديّة والروحيّة للكاتب، حيثُ الدرجة العالية من الشعور والحسّ المرهف في ماهيّة الأشياء في دواخله ومن حوله. هنا يبدو الشعرُ كبصيرة نافذة، يتحسّس من خلالها الطبيعة ومكنوناتها وأصواتها، وكذلك عالم الأفكار والتاريخ كمواد روحيّة محسّوسة وقريبة، وكأنها تخاطب روح الرائي الشاعر، ومن هنا فهناك لمسات حدسيّة عالية في شعر بورخيس. إنه يرى في زواج الكلمات المنتقاة بعناية وحسّ رفيع رؤى تجعلُ الأنا تلتحمُ بذاتها شعورياً، وكأنها تفكّك شفرتها وتسبرُ أغوارها نحو فهم ماهيتها المفكّرة، التي تبدو وكأنها لانهائية. وفي هذا تجاوزٌ للهمّ الجسدي والنفسي المتمثل بالعمى كإعاقة تحرمُ الإنسان من رؤية الجمال بالعين المجرّدة كشيء بصري ملموس.

شيء اخر لا بدَّ أن نشير إليه وهو العمق المعرفي لبورخيس، فلا يكادُ يكونُ هناك سطرٌ شعريّ إلا وفيه إيحاءٌ ما إلى شعراء وأدباء آخرين من ثقافات قديمة وحديثة أيضاً. لذلك إذا كان هناك شاعرٌ يستحقُّ أن يُقالَ إنَّ شعره موسوعيّ بامتياز فهو بورخيس. فشعره كما قصّصه يمثّل حقاً مفهوم المكتبة، التي تتطلبُ سعيًا وراء محتوياتها للنيل منها معرفةً وحسّاً قدر الإمكان.

وأخيراً لا نستطيعُ أن نتحدث عن شاعر الفكر العميق والإحساس الرهيف دون أن نعرجَ على بعض أخطائه وسقطاته، كتأييده الديكتاتورية في بلده، وعلاقته بدولة الاحتلال الصهيوني، متجاهلاً الشعب الفلسطيني وعذاباته على أيدي عصابة مجرمة. ومن الجوائز الكثيرة التي حصل عليها كانت «جائزة القدس» التي منحتها له «إسرائيل» عام 1973، بالدرجة الأولى لتأييده ككاتب عالمي لكيانها العنصري الاستعماري. لا أدري ما أقول كإنسان فلسطيني شغله شعر بورخيس وأخذ بترجمته باهتمام عن الإسبانية الأصليّة التي كتب بها، وبالاستعانة بالترجمات الإنكليزية أيضاً، وهو شعرٌ اعتبره غنياً ومؤثراً حقاً، سوى أنّ في الوقوف إلى جانب المحتل والاحتفاء به فُقدان للبصيرة

من «متحف بورخيس» في بوينس إيرس (إيكاردو سيبي/ Getty)

سقطات لا تنسى

لا نستطيعُ الحديث عن شاعر الفكر العميق والإحساس الرهيف دون أن نعرجَ على بعض أخطائه وسقطاته، كتأييده الديكتاتورية في بلده، وعلاقته بدولة الاحتلال الصهيوني، متجاهلاً الشعب الفلسطيني وعذاباته على أيدي عصابة مجرمة. ومن الجوائز الكثيرة التي حصل عليها كانت «جائزة القدس» التي منحتها له «إسرائيل» عام 1973، بالدرجة الأولى لتأييده ككاتب عالمي لكيانها العنصري الاستعماري.

أكثر من ذاكَ الطفلِ الذي لمحكَ في ثنايا الحلم

افكّرُ في ما يخصّني، موتي الكامل المتكامل

والضمير معاً، وذلك شيء لا يُغتفر. أقولُ هذا باعتبار أنّ هذا الكاتب الفذّ، بلا شك، واسع الثقافة وذا تأثير وارتباطات أدبيّة على امتداد أصقاع الأرض.

يبقى القول إنّ الشعر الحقيقي هو استعارة كونيّة تتخطّى حتى حدود الشاعر، كُبُر أفقهُ أم ضاق، وهذا ما نحتفي به هنا.

أنا

الجمجمة المغلّفة، القلب المغمر بالأسرار،
دروب الدم التي لا أراها أبداً
عالم الحلم السفلي، عالم بروتوس،
الأحشاء، والرقبة، والهيكل العظمي،
أنا كلّ هذه الأشياء والأدهشُ من ذلك،
أنّني ذاكرةُ سيف، وشمسُ غروب وحيدة آفلة،
تصير ذهباً، فرماداً، ثمّ لا تعدوُ أن تكونَ لا شيء،
أنا الذي أرى السفن القادمة من الميناء،
وأنا الكتبُ المصنّفة، بكتاباتها المهترئة
الدارية التي عفى عليها الزمن،
أنا من أحسدُ أولئك الذين ماتوا.
يا للغرابة أن أكونَ ذلك الرجل
الذي يراوحُ بين هذه الكلمات، في زاويةٍ من زوايا البيت.

■■■

إلى العندليب

ذات مساء
عند ضفّة الراين مترامية الأطراف
تائهٌ بين كلّ ليالي ليلتي الطويلة
قلتُ هل سيأتي إلى أذنيّ الغافلتين
صوتك المشحون بالأساطير
عندليب فيرجيل، والفُرس؟
ربما لم أسمعكَ أبداً،
ولكن حياتي وحياتكَ بينهما رباطٌ أبدي.
كنتَ ترمزُ لروح رحالةٍ
في كتاب الألغاز.
الشاعر المارينو سفاك «صفير الغابة»
تغنّي طوال ليل تموز
بين ثنايا الصفحات اللاتينيّة
ومن بين الأخشاب، لهاينه،
عندليب المانيا الآخر،
وسمّتكَ الأرضُ المقدسة: الطائر الساخر،
وطائر النار، وطائر الحزن.
سَمِعكَ «كيتس» وأنت تغني للجميع، إلى الأبد،
ليس لاسمٍ من الأسماء اللامعة.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

قراءة

حسن داود قبل الحرب اللبنانية بقليل

الوقوف على أطلال الكلية

تتّكئ الرواية الصادرة حديثًا على مرجع حقيقي. إنها تسعى لتقول فترة ما، ليست فقط كلية التربية، بل قد تكون لبنان قبل الحرب الاهلية

عباس بيضون

لم يحمل الفصل الأخير في رواية حسن داود «نساء وفواكه وآراء» (2020) رقماً كبقية فصول الرواية. وحده حمل عنواناً، بل عنوانَين لافتَين «سطور أخيرة»، «زيارة لم تكن ضرورية»، كأنما لم تكن زيارة «نبيلة» الخائبة لكلية التربية، بعد أن أقلعت عن فكرة إقامة حفلة تذكارية لها، إلا لتعيدنا إلى الرواية التي كانت حول كلية التربية في نصّين، الأول الازدهار الذي كان، بحسب محمد صافي، أبرز أبطال الرواية، «الزمن الجميل»، ولا يحمل عنوان رواية حسن، «نساء وفواكه وآراء» سوى المعنى نفسه بلغة محمد صافي أو حسن داود.

لا يبدو الزمن جميلاً إلا في مقابلته بالزمن الذي تلاه، والذي تفرّق فيه خرّيجو كلية التربية، كلٌ إلى حياته في ظل الحرب الأهلية التي كنّا، من قبل، قد لاحظنا إرهاصاتها الأولى في زمن الكلية: تظاهرات، ومحاولة قتل، ومجزرة في التظاهرة التي سبقت الحرب الأهلية ودُخلت هكذا فيها «مجزرة 23 نيسان». كانت الحرب على الأبواب، لكنها لم تكن الحدث، فلسنا نجد ذكراً مباشراً لها إلا في نهاية الرواية على لسان يوسف الذي دخل إليها من باب كلية التربية. كانت الحرب الأهلية تُطبق على النصف الثاني من زمن الرواية، لكن مصائر شخصياتها لا تصيرُ مباشرةً عنها، هذه الشخصيات وإن كانت مجتمعة في الكلية، التي هي خلفية واقعية لها، إلاّ أنها، وهي جميعها ذات واقع نافر وأكيد، لا تلبث أن تبتعد عن واقعها نفسه، لتكون لها في قرارتها، وفي حوافزها، وفي خواطرها المتفارقة، وفي ردودها وداخليتها ليكون لها دائماً طرافتها وبُعدها الخاص، الذي لم يفعل الزمن - وهو بطل الرواية الأساسي - إلاّ تضليله وكسفه وتحويله أكثر فأكثر إلى واقع ثقيل، بل إلى واقع بحت.

لا يفعل الزمن بمحمد صافي النموذج الأصلي لكلية التربية، إلا أصالة تميّزه عن الجميع، الذين يقلّون بدرجة أو أكثر عنها. لا يفعل الزمن بمحمد صافي شيئاً ليس فيه. إنه يمضي إلى المقلب الثاني بالشخصية المعدّة أساساً لهذا الانقلاب. طرافته المتمثّلة بجسارته ومفارقاته وسلطانه على المجموعة، هي التي، في وقت آخر، تتآكل وتنحدر وتتحوّل إلى قالب فارغ. لكن الرجل يبقى نفسه. كل ما في الأمر أن الزمن لم يعد له، وما كان امتيازاً في الأول يغدو في الثاني عبئاً، ويخسر في الواقع الجديد معناه، بل يتحوّل سُخفاً ولا معنى.

الأشخاص لا يتغيّرون، لكن الزمن هو الذي يتغيّر. إنهم يصبحون فيه عاديين. من هنا نفهم أن الزمن الجميل انتهى، كما كان يقول محمد صافي، في ساعة معيّنة. لكن محمد صافي، وهو يقول ذلك، يقوله لطرافته ويقوله لما فيه من الغرابة، لا لأنه كان حقيقياً. رواية حسن داود تتكئ على مرجع حقيقي، إنها تسعى لتقول فترة ما، ليست فقط كلية التربية، بل قد تكون لبنان قبل الحرب الأهلية، بل قد تكون ببساطة زمن الشباب. إنها تريد أن تقول فترة قائمة بذاتها، لكن الرواية ليست تاريخاً على الإطلاق. إنها، وهذا أسلوب حسن داود، تلتقط أشخاصاً وأحداثاً ممتلئين بحضورهم لتبني على هذا الحضور المليء جواً من المفارقات وطرافة أصيلة، هكذا يغدو الأشخاص بهذا البعد عن وجودهم الأصلي. يكفي أن نجد محمد صافي يقول إنّ نقطة الذروة في الزمن الجميل هي في الساعة العاشرة والنصف من صباح 11 شباط/ فبراير 1968، وإنّ الخط البياني بعد ذلك بدأ بالهبوط، لنفهم أن هذه الشخصية مبنية على غرابة أصيلة، تكاد في حجمها ونفورها تبدو واقعاً.

إذا تابعنا الرواية، فسنجد أن شيئاً كهذا يملأها، بل سنلاحظ أن الرواية تستنبش ما في السلوك وما في الخواطر وما في الملاحظات، من إضمار يبقى تحتها ومفارقة تكمن فيها. أشخاص حسن داود هم هذه البوادر الضمنية والملاحظات المضمرة. إنهم بذات الوقت، في الداخل والخارج، ومن هذا الحضور

إننا دائما أمام الصعود والهبوط ذاتهما

المزدوج يبني حسن داود في القسم الأول من روايته ما يبدو كادرات روائية، فنحن هنا، أمام شظايا روائية. محمد صافي نفسه يبدو لوحة شاهقة لكننا لا نملك الرواية عن محمد صافي سوى ما تتّضح به هذه الشخصية في عدد من الكادرات أو السيناريوهات. لا نجد في الرواية سوى صعود محمد صافي وهبوطه حتى موته. لا رواية ليوسف سوى هاتين اللحظتين. لسنا في مطرح آخر لدى الشخصيات الباقية. إننا دائماً أمام الصعود والهبوط ذاتهما حتى حين يكون الهبوط غير انحداري. وداد هي ذاتها التي قالت لا لحسان، تستمر في المقلب الثاني، ويوليت التي لم يتذكّرها في الكلية، هما رواية المقلب الثاني ما بعد الكلية. لا يحتاج محمد صافي إلاّ إلى التجلّي والاحتفال والمرثية، مثله مثل كلية التربية. أما الرواية، فتأتي من سقط الكلية، من هوامشها، تأتي لتكون، كما يحدث في الفصل الأخير، مجرّد بكاء صامت على أطلال الكلية.

(شاعر وروائي من لبنان)

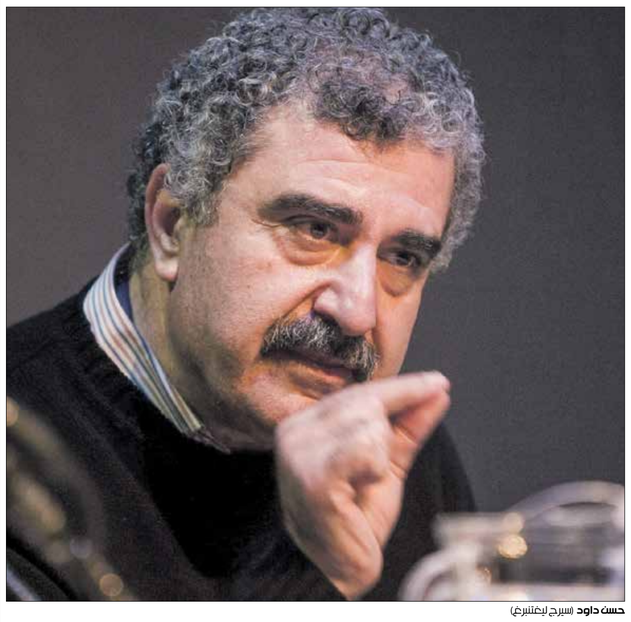

حسن داود (سيرج ليغتنبرغ)

إضاءة

فورنوس مينوس اكتشافات تعيد الاعتبار إلى الموقع الأثري

فسيفساء قد تُخفي مدينة

قد تكون القطع الفسيفسائية الأربع، التي اكتُشفت هذا الشهر في تونس، بداية خيط يقود إلى مدينة أثرية من العصر الروماني مردومة منذ قرون

تونس ـ ليلى بن صالح

في الثالث من أيلول/ سبتمبر الجاري، توصّل فريق من الباحثين في «المعهد الوطني للتراث» (مؤسسة رسمية تابعة لوزارة الثقافة التونسية) إلى اكتشاف أثري في منطقة برج العامري (قرابة ثلاثين كيلومتراً غرب تونس العاصمة). بقي هذا الاكتشاف خبراً بين الباحثين قبل أن يجري الإعلان عنه في بيان رسمي من وزارة الثقافة التونسية في السابع عشر من الشهر الجاري.

بحسب تصريحات الباحثة في «المعهد الوطني للتراث»، منية العديلي، فقد جرى اكتشاف أربع قطع فسيفسائية تعود إلى العصر الروماني (الفترة بين 146 قبل الميلاد و431 بعده) من موقع «فورنوس مينوس» في برج العامري، وهو موقع يمسح قرابة عشرين هكتاراً. تعتبر الباحثة، في تصريحات لها لوسائل إعلام محلية، أنّه «من المرجّح أن تكون هذه القطع راجعة إلى منزل روماني مكوّن من طابقين، وقد تكون الحفريات التي عُثر عليها لأرضية مطبخ روماني، أو قاعة أكل بالمعلم الأثري غير واضح المعالم الهندسية». يُشار أن القطع المكتشفة حملت رسوماً وزخارف مختلفة نجد في أغلبها أزهاراً وفواكه، كما تضمّ أخرى أشكالاً هندسية متنوّعة.

يفتح هذا الاكتشاف على فرضيات عدّة، منها أن البيت الذي ترجّح الباحثة تبعية القطع المكتشفة إليه قد لا يكون معزولاً، أي أنه ينتمي إلى بلدة من العصر الروماني، خصوصاً أن المنطقة كانت مرشّحة لكي تكون إحدى أكثر المناطق ثراء بالملقى الرومانية، غير أن الأبحاث، في أحيان كثيرة، لم تؤدّ إلى اكتشافات مهمة.

يُذكر في هذ السياق، أن الحفريات في موقع فورنوس مينوس قد بدأت في نهاية القرن التاسع عشر مع علماء الآثار الفرنسيّين، وقد جرى التركيز وقتها على هذا الموقع بفضل ظرائف المتخصّصين في التاريخ الروماني المتأخّر، كما شجّعهم اكتشاف لوحة فسيفسائية اشتهرت باسم «دانيال» في 1901 وتعدّ اليوم إحدى أهم القطع الأثرية في «متحف باردو» في تونس العاصمة، لكن بعد ذلك بدا الموقع وكأنه خيّب آمال الأثريين.

تأتي الاكتشافات الجديدة، لتضع موقع فورنوس مينوس في دائرة الضوء مجدّداً؛ فهو على قربه من تونس العاصمة شبه مجهول. ومن جهة أخرى، تمثّل هذه الاكتشافات فرصة لحفظ أرض فورنوس مينوس التي ربما تؤوي أطلال مدينة كاملة من تهديدات عدّة. وهنا يمكن القول إنّ هذا الاكتشاف قد أتى في وقته، فمن المعلوم أن توسُّع مدينة تونس العمراني قد بدأ يلامس منذ سنوات منطقة برج العامري، وهو ما يعني ارتفاع القيمة العقارية للأراضي المحيطة بالموقع، وقد لا يعدم بعضهم الحيلة لتحويله إلى مشاريع استثمارية، وذلك ليس ببعيد؛ فقد حدث الأمر ذاته مع أراض اعتُبرت أثرية في وقت من الأوقات ثم توفّرت التلاعبات القانونية التي أتاحت بناء تجمّعات سكنية تردم الآثار إلى الأبد. حدث ذلك في أشهر المواقع الأثرية التونسية مثل قرطاج، ولا شيء يمنع من تكراره في برج العامري لولا انتباه الأثريين والمؤمنين بأهمية حماية التاريخ.

تمثّل هذه الاكتشافات فرصة لحفظ الموقع من التمدّد العمراني للعاصمة

من فسيفساء رومانية مكتشفة في قرطاج (Getty)

فعاليات

على خشبة «مدينة الثقافة» في تونس العاصمة، تُقدّم يوم الاربعاء المقبل؛ 24 من الشهر الجاري، مسرحية **منطق الطير** للمخرج التونسي **نوفل عزارة**، وهي مقتبسة من كتاب المتصوّف الفارسي فريد الدين العطار الذي يحمل العنوان نفسه. يؤدّي ادوار العمل: **آمال العويني**، و**ثريا بوغانمي**، و**مراد دريدي**، و**اسكندر براهم**، و**سفيان بوعجيلة**.

بداية من الثلاثاء، 22 من الشهر الجاري، وحتى نهاية العام، ينظّم «غاليري لافاييت دروو» في باريس معرضاً بعنوان **عالم بانكسي** يضمّ صوراً فوتوغرافية للاشهر اعماله، خصوصاً في بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة. ينظّم المعرض كل سبت جولةً إلى عدد من رسومات بانكسي في باريس والتي تحوّلت إلى معالم جديدة في العاصمة الفرنسية، رغم تعرّض بعضها للمسات مجهولين.

حتى الثاني من الشهر المقبل، يتواصل في **مطافئ: مقر الفنانين** في الدوحة معرض جماعي يُعنى بفن البورتريه التعبيري. يشارك في المعرض كل من: **إسلام كامل من السودان**، و**عائشة السليطي** من قطر، و**إسماعيل عزام** و**سالم مذكور** من العراق، و**احمد عسقلاني** و**سعاد عبد الرسول** من مصر، و**حسان مناصرة** من الاردن.

انطلق في 12 من الشهر الجاري، ويتواصل حتى السابع من شباط/فبراير 2021، معرض يضيء تجربة الفوتوغرافي الالماني **توماس روف** (1954) في غاليري «Kunstsammlung» في مدينة دوسلدورف الالمانية. يُعتبر روف احد ابرز مطوّري تقنيات التصوير الليلي، كما يقدّم تصوّرات نظرية للصورة الفوتوغرافية المركّبة.